الـفـصــل الــثـامــن

الــثـورة وزعــمـاء الأحــزاب

www.anwarsadat.org

المـوقف السياسى بعد طرد "فاروق"

ماذا كان عليه الموقف السياسى- بالتحديد- بعد رحيل فاروق؟! هذا هو السؤال..

إنها كانت تجربة ضخمة فى تاريخ مصر السياسى.

فى اليوم الأول للثورة- 23 يوليو- وبعد أن سرت الفرحة فوق هذه الأرض, ماذا فعل الساسة الباشوات؟!

هل فرحوا.. وأيدوا وثبة الجيش فى ذلك اليوم من شهر يوليو؟

كان الموقف واضحا.. الجيش قام ليصفى الموقف مع جلادى الشعب, والجيش يفرض إرادته على ملك البلاد.. ثم الجيش يطلب عزل ذلك الملك! فهل وقفوا بجواره قيادة الجيش صانعة أحداث يوليو التاريخية؟

وهم حينما كانوا زعماء للبلاد, كانوا يطالبون بالاستقلال التام أو الموت الزؤام, وينادون بالحرية والعدالة والديمقراطية, كلما أرادوا حكم الشعب..؟!

الوفد والسعديون والدستوريون والإخوان.. وكل الهيئات السياسية فى هذا البلد, هل أيدت موقف الجيش من الملك فى أيام 23 و24 و25 يوليو, مثلما أيد الشعب تلك المواقف؟!

أم أنهم كانوا لا يمثلون الشعب, فموقفهم – إذن- يصبح مختلفا تماما عن موقفه؟!

لقد كانت أحداث تلك الأيام من يوليو تشير بوضوح إلى أن الضربات بدأت توجه لأعداء الشعب.. لتصرعهم!

كان فرض إرادة الشعب على أسرة "محمد على" عملا ديمقراطيا ومن المحال وصفه بغير هذا.. فلماذا لم يقف زعماء البلاد إلى جوار قيادة الجيش فى اللحظات الأولى للمعركة, وهم الذين كانوا يطالبون بحقوق الشعب وهم فى مخادعهم؟!

هل كانوا يتوقعون أن يفشل الجيش فى طرد الملك, وفى هذه الحالة يصبح موقفهم إذا كانوا قد أيدوا الجيش عدائيا من أسرة "محمد على"؟!

وماذا عليهم لو كانوا قد وقفوا ذلك الموقف معنا. والشعب كان يؤيدنا منذ الدقيقة الأولى.. أقول ماذا كان عليهم- وهم الزعماء الغيورون على مصالح الشعب- لو وقفوا وأيدو الخطوة الأولى. ولا أقول باقى الخطوات!؟

إنى أقولها ويقولها التاريخ نفسه, إن الزعماء جميعا كانوا يستهدفون فى تلك الأيام مصالحهم فقط ومصالح أحزابهم...

ففى صباح 23 يوليو لم يؤيدوا الجيش لأن فى ذلك التأييد خطرا على تلك المصالح وذلك وفى حالة فشل الجيش!

أما نجاح الثورة فذلك شئ لم يتوقعوه... أما عزل الملك فذلك شئ لم يؤمنوا بأنه سيحدث!

لهذا فهم كانوا فى بيوتهم, لم نسمع لهم صوتا, ولم نر وجها واحدا من وجوههم الكريهة!

كنا وحدنا فى المعركة ومعنا الشعب.. أما هم دعاة الديمقراطية والدستور والحريات فقد كانوا يأملون أن يفشل الجيش ويبقى ملك البلاد على عرشه.. فلا يحرمون من مقاعد الحكم مغانم السلطان!

حتى ذلك الرجل "حسن الهضيبى" وأتباعه ورثة كتاب الله فى هذا الزمان, لم يؤيدوا قيادة الجيش فى أيام الثورة الأولى.. لم نر وجه "الهضيبى" وهو الداعية الذى يطالب بالحريات والديمقراطية!

فأين كان؟!

أين كان وأتباعه وهم الذين زعموا- فيما بعد- أنهم صانعوا الثورة!

ثم فجأة وعندما عرفوا أن الثورة نجحت وأن العرش قد سقط من فوق رأس مولاهم جاءوا إلينا مهنئين... وهم الذين اختفوا عن أنظارنا قبل رحيل الملك المخلوع... بل أن رجال حزب الأغلبية, الحزب الذى يدعى أصحابه تمثيل الشعب أقول إن هؤلاء الرجال ذهب بعضهم يوم 24 يوليو- والشعب والجيش فى عنفوان معركتهما ضد صاحب الجلالة- وقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات, فى سراى رأس التين رافعين إلى الأعتاب السامية فروض الولاء والطاعة فى الوقت الذى كانت قوات الجيش تستعد للتحرك إلى الإسكندرية لتطرد ذلك الملك!

إن اسم الفاضل "صلاح الدين" وزير خارجية الوفد لا يزال فى دفتر التشريفات يشهد على صدق ما نقول!

وجاءوا للسيد الجديد

وكنا فى القيادة نعجب من هؤلاء الزعماء... كنا نتوقع أن يجئ إلينا بعضهم ليعلنوا عن تأييدهم لما حدث.. لكن يبدو أننا كنا نحسن الظن بهؤلاء القادة, فهم الذين صانعوا القصر والمستعمر طوال أعوام حكمهم, وهم الذين فرضوا طغيان "فاروق" فرضا على الملايين العارية الجائعة المريضة!

وهم الذين انسلخوا عن طبقتهم فعاشوا فى القصور كسادة يرفلون فى الحرير والنعيم, ولتذهب المثل والقيم وكل المبادئ إلى الجحيم!

وبعد أن زالت دهشتنا فوجئنا بمواكبهم تتدافع علينا فى مصطفى باشا بالإسكندرية, وفى كوبرى القبة بالقاهرة.

وقد بدأت طلائع تلك المواكب تظهر على أبواب القيادة بعد أن عرفوا أن "فاروق" قد انتهى!

إن الفاضل "صلاح الدين" الذى رفع رايات الولاء والطاعة للملك باسم الوفد يوم– 23 يوليو– أى بعد الثورة جاء بعد رحيل "فاروق" ليهنئنا ويبارك ما حدث على أيدينا!

و"الهضيبى", و"صلاح الدين", والزعماء الأفاضل من الأغلبية والأقلية.. وكل القطيع السياسى تزاحم على أبواب القيادة ليقدم فروض الولاء للسيد الجديد!

نفس الموقف... فهم فى الماضى كانوا يتزاحمون على أبواب القصر معلنين عن الولاء والخضوع والطاعة, واليوم يجيئون إلى أبواب القيادة بعد أن رحل صاحب القصر, وقد ظنوا أننا مثل سيدهم الذى ذهب!

ظنوا أننا ستدور بنا الرؤوس أمام نفاقهم وريائهم فنضع مقاعد الحكم بين أيديهم ببساطة ونحن راضون!

ذهب سيد وجاء سيد.. تلك كانت معتقداتهم وآمالهم!

لقد كنا ونحن نستقبلهم فى القيادة لا نستطيع إخفاء أسفنا.. كنا نكاد نختنق من الضـــيق.. وهم أمامنا يبتسمون فى خضوع مباركين ومهنئين ومؤيدين!

وكلما جاء إلينا زعيم من زعماء البلد كنا نلتفت إلى بعضنا, ولا نملك إلا أن نشكره على عواطفه الرقيقة ووطنيته الصادقة.

كانت المسألة رياء.. وليس لها أصل من الحقيقة!

"نجيب" يبدى دهشته

ولنترك حديث دعاة الديمقراطية بل جلاديها.. فحديثهم سيجىء كثيرا فى قصتنا.. وأعود إلى الموضوع:

قلت فيما سبق إن الهيئة التأسيسية عقدت أول اجتماع لها بعد الثورة وبعد رحيل "فاروق". واستقال "جمال عبد الناصر" من رئاسة الهيئة فى ذلك الاجتماع, ثم أجريت انتخابات جديدة ففاز "جمال" بالإجماع للمرة الثالثة.. ثم توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية.

وكانت الهيئة مجتمعة بصفة مستمرة فى الليل وفى النهار, فقد كان علينا أن نعــد عــدتنا للمعارك القادمة بعد أن أصبح كفاحنا فى العلن جنبا إلى جنب مع الشعب.

ولم يحضر اللواء "نجيب" تلك الاجتماعات, فهو لم يكن عضواً فى الهيئة التأسيسية.. فكان يظل جالساً فى مكتبه حتى ننتهى من أعمالنا, فيجئ ليجلس معنا, ونحيط به كأنه أب لنا, فكان لا يترك مناسبة دون أن يعبر لنا عن عجبه من موقفنا.

كان يقول لنا إن كل شئ قد تم بمجهودنا, وبالرغم من هذا فنحن ننسب كل شئ له وحده, وهو لم يصنع شيئا على الإطلاق.. وكان يبدى لنا خجله, من هذا الموقف, فكنا ننكر فى شدة أننا صنعنا شيئاً, كنا نحاول خلق روح من الثقة التامة بيننا وبينه.. وفعلا كان موقفه يزيد من ثقتنـــا فيه, إلى حد أن "عبد اللطيف بغدادى" قال ذات مرة– كما قلت من قبل– إن هــذا الرجــل– أى نجيب– أصبحت أحبه مثل والدى.. وربما أكثر!

"جمال" يتنازل عن الرئاسة لنجيب!

وفى تلك الاجتماعات المستمرة للهيئة كانت كل صغيرة وكبيرة تعرض علينا للبت فيها طوال النهار والليل.. واللواء "نجيب" كان يجلس فى مكتبه يستقبل الصحفيين المصريين والأجانب.. ثم عندما يعلم أننا لسنا مجتمعين يترك مكتبه ويجئ ليجلس معنا.

واستمر الوضع على هذه الحال حتى منتصف أغسطس.

وفى جلسة الهيئة التأسيسية التى انعقدت يوم 17 أغسطس فوجئنا بجمال عبد الناصر- رئيس الهيئة- يتقدم بطلب يقول فيه إنه يتنازل عن رئاسة الهيئة للواء "محمد نجيب"!

وقبل أن نفيق من دهشتنا مضى "جمال" يقول:

- إن الوضع أصبح حرجا للغاية بالنسبة لنجيب, فهو لا يحضر اجتماعاتنا وهو يحمل رتبة لواء فلا يصح أن نضمه كعضو فى الهيئة فحسب, بل إنى متنازل له عن الرئاسة!

وتناقشنا طويلا حول هذا الموضوع, ثم تقدم "جمال عبد الناصر" باقتراح بضم أربعة آخرين إلى الهيئة التأسيسية مع "نجيب"... على أن يكون "نجيب" رئيسا بالنسبة لرتبته, لأنه لا يعقل أن يجلس معنا كعضو عادى ونحن الذين قدمناه للشعب باعتباره قائد الثورة.. وبعد أن فرضناه أيضا قائدا عاما للقوات المسلحة!

اقتراح من "جمال سالم"

وفى نفس الوقت تقدم "جمال سالم" باقتراح ثان, قال فيه: إنه يرى أن يكون أعضاء الهيئة التأسيسية خمسة فقط, أو ثلاثة, على أن يعود باقى الأعضاء إلى وحداتهم فى الجيش, ويبقى الثلاثة أو الخمسة لقيادة الثورة!

واستمرت المناقشة حول الاقتراحين فترة طويلة, ثم انتهت وافقت الهيئة على اقتراح "جمال عبد الناصر", فدخل "محمد نجيب"- لأول مرة- الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار, ومعهم أربعة هم: "يوسف صديق" و "ذكريا محيى الدين", و "حسين الشافعى", و "عبد المنعم أمين"..

ومضينا نستعد للأحداث القادمة..

موقف حزب الوفد من الثورة

أصبح اللواء نجيب معنا فى الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار, ولم يكن عضوا من قبل, ولم يكن يحضر اجتماعات الهيئة لا قبل الثورة ولا بعدها...

فكنا كلما اجتمعنا بعد طرد "فاروق" كان يجلس فى مكتبه حتى ننتهى من الاجتماع, فيجئ إلينا لنحيط به وعواطفنا كلها معه, لم نشك فى إيمانه بالثورة, فأعطيناه كل ثقتنا واعتبرناه كأب لنا.. فهو كان فى كل لحظة يجلس معنا يحدث فى خجل عن إنكارنا لأشخاصنا, فيقول إنا كل وهكذا تبادلنا الثقة فى أيام ما بعد "فاروق".

وكما قلت سابقا فاجأنا "جمال عبد الناصر" فى جلسة الهيئة التى انعقدت فى 17 أغسطس عام 1952 بتنازله عن الرئاسة للواء "نجيب", وقال لنا وهو يبرر ذلك التنازل: "إن الوضع أصبح حرجا للغاية, فاللواء "نجيب" قد قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة, وفرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة وفى نفس الوقت هو لا يحضر اجتماعاتنا, وهذا ما لا يصح أن يدوم".

وبعد مناقشة استمرت وقتا طويلا جدا وافقنا على اقتراح "جمال", وأصبح اللواء نجيب رئيسا للهيئة التى ظل جمال رئيسا لها منذ أنشئت, وانتخب ثلاث مرات قبل الثورة وبعدها بالإجماع ليرأسها.

ودخل أربعة آخرون مع "نجيب" أعضاء فى الهيئة هم: "ذكريا محيى الدين", و"حسين الشافعى", و"يوسف صديق", و"عبد المنعم أمين".

ومضينا كما قلت نستعد لمواجهة الأحداث القادمة.. "نجيب" رئيسا للهيئة و"جمال" وكيلا لها.

وقبل أن أمضى فى سرد الوقائع التى جرت بعد ذلك, أود أن أذيع على الرأى العام فى الوطن العربى وفى الخارج حقيقة ظلت فى طى الكتمان منذ قامت الثورة..

وهى سر اختيار "رشاد مهنا" وصيا للعرش.. فقد أوضحت فى الحلقات السابقة موقف "رشاد مهنا" أولا بأول من الثورة.

وكان آخر موقف له سردته هنا هو قصة مجيئه إلينا فى الإسكندرية يوم طـرد الملـك, وحيرته الشديدة واضطرابه عندما دخل علينا فى القيادة هناك! وسألته يومها عن سر اضـطرابه وحيرته.. فبكى وقال: إنه جاء ليبارك الخطوات الموفقة للثورة...!

وقد عاد "رشاد" إلى القاهرة معنا فى نفس الطائرة- يوم 27 يوليو- ولم يكـن أعضـاء القيادة يتوقعون أن يقرر "جمال عبد الناصر" حسم الموقف بالنسبة لرشاد مها منعـاً للخلافـات, وبطريقة تحقق آمال ومطامع "رشاد" نفسه.

فقد كان ضباط المدفعية وغيرهم من الضباط لا يعلمون حقيقة موقف "رشاد" من الثورة, كما قلت من قبل. ولم يعرفوا أنه رفض الاشتراك فى العملية, ورفض أن يتعاون على الإطلاق, واعتقدوا عندما جاء من العريش- بدون إذن- أقول اعتقدوا أن "رشاد مهنا" هو أحد أقطاب الثورة وقائد من قادتها..!

والموقف لم يكن يحتمل تفسيرا.. فربما حدثت بلبلة ونبتت خلافات والثورة فـى أيامهـا الأولى.

فلم نقل للضباط الحقيقة, وظل رشاد صامتا أيضا..

وعلى هذا ظل الاعتقاد- بأن "رشاد مهنا" قطب من أقطاب الثورة- سائدا بـين ضـباط المدفعية وغيرهم.

وأمام هذا الموقف شعر "جمال عبد الناصر" أن "رشاد مهنا" يريد شيئا ما.

وعرف "جمال" الشىء الذى يريده رشاد...

وأراد "جمال" أن يعطيه ذلك الشىء حتى لا تحدث خلافات أو انقسـامات نتيجـة للفهـم الخاطئ لموقف "رشاد مهنا"..

ورشاد يهوى المظاهر والنفوذ والسيطرة.. ورشاد طوال حياته هكذا يجرى خلف المظاهر ويتشبث بها, ولا يعنيه شئ على الإطلاق سوى عشقه للمظاهر.

ودون أن نعلم, توجه "جمال عبد الناصر" إلى "على ماهر" وكان رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت وقال له: "إن القيادة تريد أن يكون هناك من يمثلها فى مجلس الوصاية" وطلب "جمال" من "على ماهر" أن يكون "رشاد مهنا" هو الذى يمثلنا فى مجلس الوصاية.

وتبين بعد مراجعة الدستور أنه لكى يعين أحد وصيا لابد أن يكون وزيرا سابقا على الأقل.

وزالت العقبة فاتفق "جمال" على تعيين "رشاد" وزيرا للمواصلات ليصبح بعد ذلك وصيا على العرش.

وبعد أن أنهى "جمال" المسألة عاد إلينا فى القيادة وأخبرنا بما تم وبالرغم من أنها كانت مفاجأة لنا, إلا أننا اعتبرنا ذلك حلا رائعا لمأساة "رشاد مهنا".. ولمشكلته التى كنا جميعا نشعر بخطورتها. وعندما وقعت المأساة وأصبح "رشاد" وصيا على العرش, استنتج الناس فى مصر وفى خارج مصر أن ذلك الرجل هو قطب الأقطاب.. فى الثورة, تماما كما كان شائعا عن اللواء "نجيب"..

والواقع أن "رشاد مهنا" كان يتصرف عندما أصبح وصيا للعرش باعتباره ملك البلاد.. وسأروى فى حلقة أخرى كيف كان "رشاد مهنا" يتصرف وهو جالس فى قصر عابدين!

إنه لم يشبع بالوصاية فبدأ يعد لنفسه مستقبلا أكبر.. ونسى الثورة كالعادة..

ويكفى اليوم أن أشير إلى كلمة قالها ردا على طلب القيادة وكنا نعتبره ممثلا لنا...

قال "رشاد" يومها وهو يرفض الموافقة:

– إنى أملك وأحكم أيضا...

نصحونا بأن نحكم..

وأعود إلى قصتنا..

قلت: إننا بدأنا نستعد بعد دخول "نجيب" الهيئة التأسيسية لمواجهة الأحداث القادمة, وبدأنا نناقش الوضع السياسى فى البلاد, بعد خروج فاروق...

والموضوع الذى شغل وقتا كبيرا من مناقشاتنا فى تلك الأيام هو دعوة برلمان الوفد الذى كان قائما قبل حريق القاهرة للانعقاد.. و"النحاس", وسراج الدين كانا فى مصايف أوربا يستشفيان فى ذلك الوقت.

وأذكر أنه بعد 26 يوليو أى بعد خروج "فاروق" جاء إلينا أناس كثيرون فى نشوة النصر ونصحونا بأن نجلس نحن على مقاعد الحكم.

لقد ظنوا أن بريق النصر سيخدعنا...

اعتقدوا أننا طلاب حكم, لكنهم فوجئوا بنا نقول لهم: لا..لا..وكررناها فى حزم وقوة.

وأعود إلى الفترة التى سبقت الثورة بوقت قليل...

عندما كنا نتصل بكل الهيئات ونحن نستعد لإشعال نار الثورة لقد فكرنا فى تلك الفترة أن نطلق شرارة الثورة الأولى بأن نفرض حزب الأغلبية وقتذاك- الوفد- على الملك.. اعتبرنا هذه الخطوة بداية للمناورة, واتصلنا فعلا بفؤاد سراج الدين "باشا" وأوفدنا إليه البكباشى "أحمد أنـــور" أحد الضباط الأحرار- وقائد البوليس الحربى- وذهب "أحمد أنور" ليسأل "فؤاد سراج الدين" عن موقف حزب الوفد فى حالة ما إذا فرضه الجيش على الملك؟!

وقد طلب "سراج الدين" مهلة ليرد على ذلك السؤال.. حددها بشهر.

الوفد يخشى المعركة..

وبعد شهر جاءنا رد "سراج الدين", وهو الرفض لأن قطب الوفد ووارث الزعامة رأى أنه من المحال أن ينجح الجيش فى هذه العملية..

عاد "أحمد أنور" إلينا وهو يحمل رد الوفد.. أن حزب الأغلبية لا يؤمن على الإطلاق بأن هناك قوة يمكنها فرض أى شئ على الملك, لهذا يعتذر "سراج الدين" عن تحديد موقف معـــين- للوفد- فى مثل هذه الحالة..

وفهمنا يومها مدى إيمان قيادة الوفد بالشعب.. فتلك القيادة لا تؤمن على الإطلاق بالكفاح العملى ضد أعداء الشعب "أى القصر" بل تترقب وتنتظر تحسن الأحوال حتى يستدعيها ملك البلاد إلى حكم البلاد.

أما فرض إرادة الشعب على الملك فذلك شئ لا يؤمنون به بل يهابون الاشتراك فى إظهار تلك الإرادة.

وزيادة على هذا فقيادة الوفد قد رأت فيما عرضناه عليها خطرا قد يودى بها فى حالة الفشل, وهى قيادة قد قررت عدم خوض معارك مع الشعب أو الجيش ضد الأعداء, بل قررت مهادنة هؤلاء الأعداء والتعاون معهم إذا أرادوا- أى الأعداء- تلك المعاونة.. وليذهب الشعب إلى حيث يشاء.

وفهمنا يومها أيضا أن قيادة الوفد قد انسلخت نهائيا عن طبقات الشعب المكافحة المتطلعة إلى المستقبل.. انسلخت عنها فى اللحظة التى ضمت فيها تلك القيادة طبقة الإقطاعيين وهى الطبقة التى اتحدت مصالحها القصر والاستعمار أيضا.. الطبقة التى لولاها لما كان فى البلاد قصر ولا استعمار ولا جوع ولا عرى ولا مرض.. هى الطبقة التى تشرب الدم البشرى وتريد أن تظل ممعنة فى ارتكاب هذه الجريمة إلى الأبد..!

الوفد يتجه إلى مصدر القوة

واستعرضنا يومها موقف الوفد- أو بعبارة أكثر صدقا- مواقف قيادة الوفد منذ انتهاء الحرب العالمية حتى حريق القاهرة!

وكان لابد أن نستعرض ذلك الموقف.. فالمسألة هى مسألة القضية الوطنية وليست شيئا آخر.. وعلينا أن نعرف أعداء هذه القضية ثم علينا أن نعرف أيضا قادتها الحقيقيين!

لقد كان موقف قيادة الوفد- وهو حزب الأغلبية- هو الاتجاه إلى مركز الثقل فى السياسة المصرية, ومركز الثقل كان فى يد كليرن السفير الذى يحكم البلاد... ثم عندما انتقل مركز الثقل هذا إلى يد الملك بعد الحرب العالمية الثانية- وكان ذلك من خطة الاستعمار فى ذلك الوقت- اتجه الوفد إلى القصر وهادنه... تماما مثلما هادن "كليرن" وارتمى فى أحضانه!

وهذا التحول المؤسف فى سياسة الوفد ظهر واضحا للعيان بعد أن أجريت الانتخابات على يد "حسين سرى" وفاز الوفد بأغلبية ساحقة, وأصبح على الملك أن يدعو الحزب الفائز ليتولى الحكم...

وسواء كان الوفد قد كسب المعركة الانتخابية بالباطل أو بالحق فهو- أى الوفد- قد فاز على أية حال وتربع أقطابه على مقاعد الحكم.

بعد أن ظلوا خمسة أعوام بعيدين عنها.. فى انتظار الفرج!

أصبح الوفد- إذن- فى يده كل الفرص لتحقيق مصالح الشعب وأهدافه العظمى بعد فوزه فى تلك الانتخابات... فهل فعل؟

لقد استبد الرعب بالملك عندما عرف نتيجة الانتخابات!

انتابه الفزع, فالوفد قادم ليصفى معه الحساب.. ليأخذ منه حق الشعب!

وليلة أن أذيعت نتيجة الانتخابات استدعى الملك "حسين سرى" رئيس الوزراء وقال له:

- تعال حوش عنى الوفد!

وكان مفروضا أن يخوض الوفد- باعتباره ممثلاً للشعب كما يقولون- المعركة فى الحال ضد استبداد القصر. فإن الفرصة الذهبية التى كان ينتظرها قد هبطت بين يدى قادته.. فهم أصبحوا حكاما!

وفى يناير عام 1950 استدعى الملك "مصطفى النحاس" ليكلفه بتأليف الوزارة بعد نجاح حزبه فى الانتخابات.. وكان يتوقع استفزازا أو حتى ابتسامة شماتة تظهر على فم صاحب المقام الرفيع, بعد أن فاز رغم أنف الملك وأصبح حاكما رغم أنفه أيضا.. وهو الذى ظل فريسة لاضطهاده طوال خمسة أعوام قضاها بعيدا عن لاظوغلى.. وعن النفوذ والصولجان!

وسمع الملك صوت صاحب المقام الرفيع يتكلم.. سمعه يقول له:

- أنا لى طلب...

وتوقع "فاروق شرا".. ظن أن زعيم الأمة قرر الاشتباك معه فى معركة وهو لم يزل فى أول الطريق.. وقبل أن تختفى صفرة الخوف من وجه "فاروق" بعد ذلك السؤال, سمع "النحـــاس" يقول له:

- طلبى.. إنى أبوس إيد مولانا!

وهكذا سقطت قيادة الوفد نهائيا فى قبضة أعداء الشعب, فهى إذن قيادة شـــعبية.. وهـــى القيادة التى أيدها الشعب وجاء بها إلى الحكم لتحمى مصالحه وتعمل من أجله.. ففوجئ بها تحمى مصالح القصر وتعمل من أجل "سراج الدين".. وباقى الباشوات أعضاء القيادة الوفدية!

ومن أجل هذا لم نعجب حين حمل إلينا أحمد أنور مندوب الضباط الأحرار إلى الوفد رد "سراج الدين"... الذى اعتذر فيه عن عدم التعاون معنا. وكنا قررنا أن نفرض الوفد على الملـــك كخطوة أولى لإشعال نار الثورة.

يريدون حكما ونريد ثورة

وبعد ذلك- أى بعد رفض "سراج الدين" أن يخوض الوفد المعركة مع الضباط الأحرار- قررنا عدم التعاون إطلاقا مع الهيئات والأحزاب فى مصر.. لأن العقلية التى تسيطر على قادتها تختلف تماما عن عقليتنا.. فهم يريدون حكما ونحن نريد ثورة.. نحن فى ناحية وهم فـــى ناحيـــة أخرى.. نحن نريد تغيير نظام الحكم.. وهم يريدون الحكم نفسه!

يريدون الحكم فى كنف "فاروق".. و"كريم ثابت", و"بوللى", وخدم القصور؟

أما المعارك جنبا إلى جنب مع الشعب ضد "فاروق" فذلك شئ يرعبهم ويجعلهم يهربـــون من الميدان.. إلى المخادع الناعمة فى انتظار العطف السامى.

كانت المسألة فى برنامجنا هى كفاح من أجل الشعب, أما المسألة التى فى برنامجهم فهى كانت كفاحا من أجل الحكم.

لهذا قررنا استبعاد كل الهيئات والأحزاب من كل خططنا فى المستقبل وقررنا فى نفـــس الوقت الاعتماد على أنفسنا.. على تشكيل الضباط الأحرار, فمن بين صفوف هذا التنظيم المناضل يمكن أن تظهر القيادة السياسية الوحيدة التى لا تتعارض مصالح أفرادها مـــع مصـــالح طبقـــات

الشعب المتطلعة إلى التحرر.. فكل الضباط الأحرار من عائلات متوسطة وليسوا أبناء باشوات, وليسوا من صلب الأرستقراطية المصرية الخائنة المتعاونة مع القصر وكل أعداء الشعب.

رأيان يتصارعان

غير أننا بعد عزل الملك بدأنا نناقش الوضع من جديد وفــى كــل اجتماعــات الهيئــة التأسيسية- المستمرة دائما فى تلك الأيام- لم يقف أحد منا لينادى بأن نتولى نحن الحكم.. وإنمــا كان هناك رأيان يتصارعان.

الرأى الأول يقول: بما أننا كنا ننوى أن تبدأ الشرارة الأولى للثورة بفرض حزب الأغلبية على الملك فماذا يمنع لو استدعينا برلمان الوفد لتسير الأمور ونجلس نحــن نراقــب الأحــوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة.

والرأى الثانى يقول: لا يصح أن يحدث هذا.. فالوفد وكل الأحزاب والهيئات بمــا فــيهم الإخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة, واعتقدوا عندما اتصلنا بهم أن المسألة خيــال.. وتخلفهم هذا معناه أنهم ليسوا ذوى نوايا حسنة بالنسبة للشعب, ومعناه أيضا أنهم لا يؤمنون بمــا ينادى به الشعب.. وكفاحهم من أجل مصالحهم هم لا مصالح الشعب.. وقيادة كل هيئة وكل حزب أصبحت معزولة عن الشعب تماما.. ومصالحهم متناقضة مع مصالح الشعب, فهــى- أى تلــك القيادات- سوف تكون حربا على أهداف الثورة لو مددنا أيدينا إليها.

ومضى أنصار الرأى الثانى يفسرون أهداف الهيئات والأحــزاب ويقارنونهــا بأهــداف الشعب, ثم قالوا: إن الثورة تحتم إلغاء كل تلك الأحزاب والهيئات التى تآمرت على الشعب طوال الربع قرن الأخير..

هى على استعداد فى كل وقت للتآمر على مصالحه حتى بعد خــروج "فــاروق".. فلــن يعدموا طاغية آخر وأعداء آخرين للشعب تتفق مصالحهم مع مصالح هؤلاء الساســة القــدامى.. وفى هذه الحالة ماذا سوف يحدث؟! كأننا لم نقم بثورة.. وكأننا لم نطرد صاحب العرش, وكأننــا كافحنا وأصررنا على الكفاح من أجل أن نسلم البلد لهذا القطيع المتــآمر والخاضــع للاســتبداد المتطلع إلى لاظوغلى لا إلى الشعب!

واستمرت المناقشة واحتدمت فى تلك الاجتماعات للهيئة التأسيسية وكان الرأيان المتصارعان هما محور كل المناقشات!

التطهير المزيف للأحزاب

كان رسل الوفد يقفون أمامنا... وينبرى قطب منهم, ويقول:

- اسمعوا.. لا خلاص لكم إلا بالوفد.

وقال لنا الإخوان:

- نحن لها.. نحن الذين سننقذ الموقف.. أما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم.. اجعلونا أوصياء على الثورة, هذا هو الحل الوحيد, ولا خلاص لكم إلا بوصايتنا.

وكنا نؤمن بأن الثورة لا يمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والإخوان والسعديين.. ديمقراطية النظام الملكى الإقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة... ديمقراطية العبيد.

وكنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر فى أرض مصر بعد طرد "فاروق", تتيقظ وتعى موقفها تماما إزاء الأحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل, فيتجنب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم, وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين, ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف:

- حرامى... حرامى... لكن عايزينه.

وطالبنا الأحزاب بالتطهير...

ومنهم زرق الأنياب وقدامى السياسة والحكم, إنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا.

وعقد الوفد اجتماعا وأصدر قائمة..

وعقد السعديون اجتماعا وأصدر قائمة..

وعقد كل حزب اجتماعا وأصدر قائمة..

وكانت حكاية التطهير مهزلة..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للأشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثـــورة, ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين.

ماذا كانت تريد؟..

لقد وقفت بالقارئ فى آخر حلقة من القصة عند موقف الأحزاب من هذه الثورة, وقلت إننا فتحنا أمامهم الأبواب ومددنا أيدينا لكل زعيم منهم وقلنا: تعالوا.. ساهموا معنا فى هـــذا العمـــل التاريخى الكبير..

تعالوا نصنع- جميعا- مستقبل شعب قضى عمره يجوع ويمرض ويموت.

وترددوا- جميعا- ولم يمد أحدهم إلينا يده... كانوا يعتقدون أن الذى حدث فى 23 يوليو ما هو إلا أحد الانقلابات المعروفة العادية, والتى قد تزول بين يوم وليلة, وبعد ذلك يتولون زمام الأمور من جديد.

لم يفهموا على الإطلاق أنها ثورة.. وإلا فما معنى ترددهم؟!

قرروا أن ينتظروا ليروا إلى أين تتجه الأحداث بعد ذلك اليوم من يوليو وفى نفس الوقت, ونحن نعد خططنا لتغيير نظام الحكم, كان الرسل يجيئون إلينا ويروحون.. رسل الوفـــد يقفـــون أمامنا وينبرى قطب منهم ويقول:

- اسمعوا.. لا خلاص لكم إلا بالوفد.. صدقونا.. أنتم لن تتمكنوا من صنع شـــئ علـــى الإطلاق, إلا إذا أيدناكم نحن الوفديين, فلابد من حزب سياسى يقف إلى جواركم.

ولا ينسى "القطب" أن يستعرض أمامنا قائمة الأحزاب المصرية الموجودة.

وبعملية بسيطة نخرج من الاستعراض بأن الوفد هو الحزب الوحيد الذى لا نجاة للثـــورة إلا به, لأنه حزب الأغلبية. ويخرج أقطاب الوفد من عندنا ليدخل أقطاب آخرون هـــم الإخـــوان, وفى بساطة وبمنطق غريب يتحدثون عن أنفسهم كأنهم هم صناع التاريخ والتطور الإنسانى قـــال

لنا الإخوان: "نحن لها.. نحن الذين سننقذ الموقف.. أما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم.. اجعلونا أوصياء على الثورة.. هذا هو الحل الوحيد.. ولا خلاص لكم إلا بوصايتنا".

من يريد أن يثور معنا؟

وكنا نلاحظ بوضوح ونحن نستمع إلى كلام "الإخوان" أنهم على ثقة من قدرتهم على خداعنا, فكيف نلوذ بالصمت ولا نشعرهم بأننا نفهم كل ما يدور فى رؤوسهم..؟ الجميع كانوا ينظرون إلينا باعتبارنا صغارا, لا قدرة لنا على مواجهة الأحداث.. كأنهم كانوا بأعمارهم المديدة قادرين على مواجهة أحداث ما قبل يوليو.. فما بالهم بما بعد ذلك التاريخ؟!

الواقع أننا- فى ذلك الوقت- كنا فى حيرة, فقد كانت الخطة التى وضعناها فى إخلاص شديد تقضى- فعلا- بالتعاون مع من يريد أن يثور معنا, من يفهم أن المسألة هى العمل والعمل والعمل.. وليس الحكم!

ومن أجل هذا طلبنا من كل الأحزاب أن تطهر نفسها فورا كشرط للتعاون من أجل بعث مصر وتغيير شكل النظام القائم.

ديمقراطية العبيد

قلنا لهم: انسوا برامجكم القديمة وأساليبكم الماضية, وتخلوا عن معتقداتكم التى كانت تتفق مع الوضع قبل يوليو, وقد اختلف الوضع بعد ذلك التاريخ.. ولا سبيل إلى العمل أو التعاون والاشتراك فى "الثورة" بهذه العقلية وبتلك البرامج والمعتقدات!

كنا نؤمن بأن "الثورة" لا يمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والسعديين والإخوان, فتلك كانت ديمقراطية النظام الملكى الإقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة.. أى ديمقراطية العبيد!

فالبرلمان الدستور وكل الأشكال الوهمية للحرية.. والتى كانت قائمة قبل يوليو كانت وسيلة لحكم الشعب بالقوة ومنعه من نيل حق واحد من حقوقه التى كانت فى قبضة أعضاء البرلمان والحكام وحماة الدستور.

www.anwarsadat.org

كان الإقطاعى يمثل تمثيلا- ديمقراطيا- مصالح الفلاحين.. عبيده! فأين الديمقراطية هنا, وكيف كان يمكن للثورة أن تقضى على الإقطاع إذا رأى قادتها أن يجعلوا مبدأ التعاون مع الوفد وغيره من الأحزاب هو الأساس الذى سيقوم عليه النظام بعد يوليو؟!

ذلك كان الموقف بالتحديد, لا ديمقراطية إذن ولا دستور ولا حريات ولا برلمان ولا ممثلين للأمة, لا شئ من هذا على الإطلاق كان يمكن أن تبقى عليه الثورة إذا لم تظهر الأحزاب وتغير من برامجها, ومن أشخاص القائمين عليها وهم الأعداء الحقيقيون للشعب.

وليس هناك غيرهم يمكن أن يعطل التطور المحتوم للناس فى مصر بعد سقوط "فاروق".

النائب والشعب

وقد كنا فى ذلك الوقت نحاول أن نجد طريقة نغير بها أساليب الكفاح السياسى, الوفدى والسعدى والدستورى والإخوانى.. كنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد "فاروق", تتيقظ وتعى موقفها تماما إزاء الأحداث التى ستجرى بعد ذلك حتى لا تضلل, فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم, وحتى لا تسير مظاهر من أفراد مساكين, ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف:

- حرامى.. حرامى.. لكن عايزينه

كيف يفهم الفلاح؟

كان حتما أن يحدث التغيير فى وعى الجماهير ليسير جنبا إلى جنب مع دوراة الثورة, فكيف يكون ذلك, والثورة كانت بيضاء لم يشترك فيها الشعب بالسلاح كما هى الحال فى كل الثورات التى غيرت نظم الحكم والاقتصاد!

كيف كان يمكن أن يفهم الفلاح الذى فى "درين" أن الهتاف بحياة "عبد العزيز البدراوى" نائب مركز طلخا جريمة.. بعد يوليو؟! وهو- أى فلاح درين- لم يهدم الإقطاع بفأسه حتى كان لا يمكن أن يعى معنى الثورة! كنا نواجه حالة تاريخية شاذة.

كنا لا نريد أن تسيل الدماء فى درين وفى القاهرة وفى كل المدن والقرى, حتى يعى الشعب موقفه, ويفهم أن الثورة ما قامت إلا من أجله هو ومن أجل تحديد مستقبله, لا من أجل طبقة معينة.

والدماء كان يمكن أن تسيل.. كان الجيش على استعداد لخوض المعركة المسلحة إلى جانب الشعب فى درين وفى القنال وفى أقاصى الصعيد.. لكن ما ثمن كل هذا.. وما نتيجة الدم المراق؟

حيرة التاريخ

وماذا لو استطعنا أن نحقق للشعب كل حاجاته وأهدافه بلا دم؟

هنا يقف التاريخ حائرا إلى حد ما ليرقب النتيجة.. فهى حالة شاذة كما قلت فى تاريخ الثورات!

وفى حجرتنا القائمة هناك فى مبنى بكوبرى القبة, كنا نجلس لنعد خطة الزحف الأبيض على أعداء الشعب.. الزحف الذى يمتد بلا ضحايا.. بلا بارود ولا أشلاء ولا رقاب طائرة.

صحيح أن الثورة الدموية تخلق الوعى السياسى فى الحال بين الجماهير وتجعل الشعب يرى طريقه فيمضى كالمارد فيه حتى النهاية, لكن مقومات الثورة الدموية التى كان من المفروض أن تحدث بعد يوليو لم تكن موجودة.. فلا الشعب يريد الدم ولا الجيش.

وليس فى البلاد ميادين لمثل هذه المعارك, لأن الموقف فى مصر يختلف عنه فى كل بلاد الدنيا.. الظروف, والأوضاع, والوعى, والتنظيم الثورى النابع من أعماق الشعب... ثم هناك الحقيقة الكبرى فى قصة ثورتنا وهى أن قيادة الثورة ظهرت بين صفوف القوات المسلحة فسيطرت تلك القيادة على هذه القوات.. وهذه الحقيقة ذكرتها فى الفصول السابقة مرارا عديدة.. فهى- إذن- حقيقة تاريخية ومعناها أنه لا مجال على الإطلاق لمعركة مسلحة بين الشعب وأعدائه ما دام الشعب قد أصبح يملك السيطرة على قواته المسلحة, وما دامت قيادة تلك القوات أصبحت تنادى بمطالب الشعب.. وتعمل على تحقيقها.

أين هم الأعداء الذين يمكنهم أن يقفوا أمام هذه الحقيقة دون أن يستسلموا..؟!

www.anwarsadat.org

لا البدراوى ولا أى عدو آخر يمكنه أن يتمسك بالأرض إذا رأى دبابة تقف أمام قصره فى درين وينذره قائدها بتسليم الأرض لأصحابها..

إن الموقف بالتحديد هو أن الدبابة كانت تحمى "البدراوى" من فلاحيه, ثم أصبحت بعد يوليو تحمى الفلاحين من البدراوى!

ومضينا فى زحفنا الأبيض

وأمام هذا الوضع التاريخى رأينا أن نمضى فى زحفنا الأبيض على أعداء الشعب حتى النهاية.. ومن أجل أن نطمئن الجميع- حتى الأعداء- طلبنا من الأحزاب- كما قلت- أن تطهر نفسها وتعد برامج تتفق مع التطور المحتوم للشعب بعد يوليو.

لكن- كما قلت- اعتقد أقطاب الأحزاب أنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا, نحن الضباط الشبان الصغار, فهم زرق الأنياب وقدامى فى السياسة والحكم.. أما نحن فمن نكون؟

وانتظرنا من زرق الأنياب هؤلاء أن يطهروا أنفسهم ويغيروا من برامجهم فى صدق, وليس كما فعلوا بعد ذلك- كما سيجىء فيما بعد- لكنهم ظلوا يناورون مما اضطرنا إلى إنذارهم, ونشر الإنذار فى الصحف وأذيع, وقد جاء فى نهايته تلك العبارة: "وقد أعذر من أنذر.."

التطهير المزيف

وهنا شعروا أن "الثورة" جادة فى المسألة, وأن الموقف ليس كما كانوا يعتقدون مجرد كلام فى كلام.

وأسرع حزب الوفد وعقد اجتماعا, وأدار الاجتماع الأعداء الذين ما قامت الثورة فى مصر إلا لتقضى عليهم, بل ما قامت أية ثورة فى أى قطر من الأقطار إلا للقضاء على أمثالهم...

المهم أن الوفد عقد الاجتماع والسلام, وأصدر الوفد قائمة بأسماء بعض أعضائه الذى قرر إخراجهم من الحزب لتطهيره. وهؤلاء الأشخاص لم يكن لهم نفوذ فى الحزب بل لم يكن هناك مبرر لإخراجهم, ولا أحد يعلم لماذا قرر الوفد إخراجهم.. وقد ظنوا- كما ظن غيرهم فيما بعد- أنهم ضحكوا علينا بعمليات التطهير والتغيير المزيفة تلك.. وكانت حكاية التطهير مهزلة..

www.anwarsadat.org

لو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للأشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين!

www.anwarsadat.org